1- إسلام سمير عبد الرحمن

1- انتقام

كانت تقف كتمثال جميلٍ للبراءة، عيناها مسكونتان بطيفين أزرقين، ترتدي ثوبًا ورديًّا تزينه أزهار حمراء دقيقة، وتمسك بيدها اليسرى- التي تحيط بها إسورة بلاستيكية فضية لامعة- دمية كبيرة لدب بني الفراء، رأسه تميل إلى اليسار شبه منفصلة عن جسده وقد برز الحشو الأبيض من موضع التمزق.

تتطلع إلى شقيقها الأكبر ذي الأسنان الأمامية المفقودة، الذي أخذ يرسم على وجهه تعبيرات طفولية سخيفة ليغيظها وهو يمسك النقص الذي مزق به دميتها أمامها، كانت تنقل عينيها الدامعتين بينه وبين دميتها الأثيرة المتدلية من قبضتها كالجثة .

تنظر إليه بعجز وغيظ وحيرة وغير فهم، وهو يواصل سخافاته، وعندما فتحت فمها خرج صوتها مختنقًا بعبراتها :

-ربنا هيزعل منك يا (نبيل).. ربنا هيزعل منك.

صفق بكفيه وهو يصيح بصوت منغم:

-مش هيزعل مني.. كانت دبة عبيطة.

رفعت الدمية وقرَّبت رأسها من أذنها، وبدت وكأنها تستمع إليها، ونظرت إليه في غضبٍ وقالت بصوت مرتفع:

-بتقولّي إنها بتموت.. وانها كانت بتحبني.

وصمتت لتستمع ثانية وتقول:

-وبتقول إنك هتندم على اللي عملته فيها..

هبطت على ركبتيها ووضعت الدمية الممزقة بجوار فراشها، وقامت بتغطيتها بمنشفة وجه بيضاء. تطلَّع (نبيل) في قلق إلى البقعة الحمراء التي بدأت المنشفة تتشربها في بطءٍ مستمر. وتحول قلقه إلى ذهولٍ، عندما شاهد الصوان الذي يحتفظ فيه بألعابه يرتج، وتراجع في هلعٍ وهو يستمع إلى صوت زمجرة حيوانية وحشية تصدر من داخل الصوان.

كانت تعقد ساعديها أمام صدرها في ثبات مستمتعة برعب شقيقها وهو يتراجع نحو باب الغرفة.

ومع توقف الزمجرة واستقرار الصوان في مكانه في ثبات، استجمع شجاعته وتقدَّم نحو الصوان ليفتحه في حذرٍ.

تقدمت لتتطلع إلى الألعاب والدمى الخاصة به وقد تحولت إلى فتات منثور وحطام بالكامل، وعندما بدأ يبكي ويصرخ مناديًا أمهما، كانت تقول في ثقة وتشفٍّ:

- مش قلت لك إنك هتندم على اللي عملته فيها.

¤¤¤

2- تلك الفتاة

نهض مترنحًا يتحسس جدران الممر في طريقه إلى دورة المياه، تلبية لنداء مثانة ملِحّة، ساعة الجدار الفسفورية تشير للثالثة بعد منتصف الليل، أفرغ مثانته ممنيًا نفسه بثلاث ساعات إضافية من الراحة والدفء حتى يقوم بعمله في الصباح، مر على غرفة ابنته الصغيرة ليتأكد من إحكام الغطاء حولها كعادته، ولكنه في تلك المرة

شاهدها واقفة في الظلام مستندة بقبضتيها الصغيرتين إلى المرآة المثبتة بصوان ملابسها، الذي يحمل صورًا لميكي وبندق وبطوط.

أضاء نور الغرفة واقترب منها وشاهدها تدق المرآة برأسها دقات رتيبة خافتة.

ربت على كتفها وهو يقول مبتسمًا: رودي حبيبة بابا.. بتعملي إيه؟

التفتت إليه بعينيها البنيتين لتقول:- رودي محبوسة في المراية

ضحك وهو يشير إلى انعكاسها في المرآة ليقول: حبيبتي.. دي صورتك إنتي يا حبيبتي .

هزت رأسها وقالت بصوت هادئ: لأ.. رودي الجبانة زعلانة إنها دخلت مكاني وأنا أخدت مكانها.

نظر إلى انعكاسه وانعكاس ابنته في المرآة، ووجد نفسه يحرِّك يده اليمنى فحرك انعكاسه يده اليسرى، فمطَّ شفتيه ليقول: رودي يا حبيبتي.. يلا عشان تنامي.. فيه حضانة بكرة بدري.

ضحكت ضحكة ممطوطة أثارت قلقه وهي تقول: أنا مش هروح الحضانة زي رودي.. وعاوزة لعب جديدة بدل اللعب العبيطة اللي كنت بشوفها كل يوم بتلعب بيها..

بدأ يشعر بالقلق على ابنته فجلس على ركبتيه ليواجهها، ونظر إليها مبتسمًا وهو يربت على كتفها قائلًا: حبيبتي.. إنتي زعلانة من حد في الحضانة؟

سألها واتسعت عيناه وتراجع للخلف وهو يتطلع إلى أسنانها البنية المتسخة كأسنان عتاة المدخنين وشفتيها المتشققتين ونظرتها الوقحة التي تقطر شرًا، وخرج صوته متقطعًا مرتجفًا وهو يقول: إنتي مين؟.. وبنتي فين؟

أشارت مبتسمة إلى المرآة وهي تقول:- قلت لك محبوسة

وعندما نظر إلى المرآة شاهد انعكاسها يبكي ويدق المرآة ويصرخ بلا صوت، ومن حركات شفتيها عرف في هلع أنها تصرخ: إلحقني يا بابا.

¤¤¤

3- يرتجف من البرد رغم تدثره ببطانيتين فوق بعضهما البعض، وضوء البرق يسطع من خلف زجاج النافذة، وصوت هزيم الرعد يكاد يدك البناية دكًّا وفجأة شعر بملمس قدمين باردتين على لحم ظهره أسفل الأغطية مما بعث بقشعريرة باردة سرت من ظهره حتى منابت شعر رأسه رجته رجًّا، فصاح في غضب محدثًا زوجته التي يوليها ظهره:
- سناء قلت لك ألف مرة لا داعي لأسلوب المزاح السخيف هذا وخاصة في هذا الطقس

سمع زوجته تضحك ضحكة خافتة رفيعة النبرات بصوت بدا غريبًا على أذنيه وهي تدس قدميها في لحم ظهره أكثر، فكاد أن يلتفت إليها لينتقم منها بنفس مزحتها المعتادة السخيفة ولكن منعه شيئان: أولهما ملمس القدمين على ظهره آثار شكوكه، فالقدمان كبيرتان للغاية وملمسهما غريب، وكأن سحلية حرشوفية الأطراف تدس قدميها أسفل ثيابه والشيء الثاني رؤيته لزوجته وهي تنحني نحوه وتقرب من وجهه كوبًا تنبعث منه الأبخرة الدافئة لتقول:

- أفضل شيء في هذا الجو الرهيب كوب من السحلب من صُنع يدي سيجعلك تنسى الزمهرير الذي بالخارج!

¤¤¤

4- كان يتمنى أن لا يضربه ليلة الكريسماس بالذات، ولكنه ثمل وأشبعه ضربًا، فبكى وكتب أمنيته على ورقة:

"أتمنى أن لا يضربني والدي ثانية"

ليلتها ابتسم عندما شاهد "بابا نويل" وهو يخرج من غرفة والده مرتديًا زِيًّا أسود اللون، ليتجه نحو المدفأة ويضع شيئين في الجورب الذي ثبته على حافتها ويغادرها، تحولت فرحته إلى فزع وهو يتأمل هديته فقد ترك له كفين بشريين ممزقين ينزان دمًا، واتسعت عيناه هلعًا عندما سمع الصرخة المتألمة المعذَّبة التي أطلقها والده!

¤¤¤

5- أصابع ألوان الشمع متناثرة على سجادة غرفة المعيشة، و(مودي) ذو الثلاث سنوات تبخر عندما سمعني أفتح باب الشقة. لن ينام جيراننا الليلة من صوت صراخي وأنا أعنفه هو وأمه (تيسير) التي تركته ينفرد بألوانه بعيدًا عن نظرها، وها هو قد حوّل حوائط غرفة المعيشة إلى كراس رسم، ولوثها بالأحمر والأخضر والأزرق، وتناثرت رسومات بدائية لبَطٍّ وزهور ومراكب في كل أجزاء الحوائط. أفتح فمه وأصرخ مناديًا زوجتي وابننا لأوبخهما، فأشعر بدهشة، اختلطت بعدم فهم، تحول إلى ذعر، عندما رفعت عيني إلى السقف، وشاهدت نفس الرسومات الملونة تملأه، بنفس خطوط ابني البدائية!

¤¤¤

6- تجلس مريم على الضوء الخافت لكشاف صغير تقرأ بصوت رخيم يبعث على الاسترخاء قصة ما قبل النوم لكريم الذي استرخى بجسده الصغير على وسادته متدثرًا بغطائه الذي يحمل صورًا من عالم ديزني، يستمع مبتسمًا، ناعسًا، بدون تعليقات كعادته، لم ينتبها لوجودي بالطبع، نظرت في السجل الذي أحمله وأتحرك وفقًا له بالدقيقة والثانية فوجدت أن الباقي له من الزمن خمس دقائق فقط، دعوت الله أن تنتهي من القصة سريعًا خلال تلك الدقائق الخمس فأنا أكره أن أقبض روحه أمامها وقبل أن يستمع لباقي قصته الأخيرة!

¤¤¤

7- أصابع حرشوفية قوية تجبره على فتح فمه لأقصى حد، وأصابع أخرى تدس كميات مهولة من الملح لتحشو بها جوفه، يحاول أن يسعل ليلفظ الملح الخشن، ولكن كميات أكبر وأكبر تتسلل إلى جوفه ووعيه يتسرب رويدًا رويدًا وصوت يصل إليه يقول:

- السر في جودة التصنيع هو حشو جوف الكائن البشري بالكامل بالملح، لا تتركي ملليمترًا واحدًا خاليًا من الملح قبل أن تغطّي الكائن البشري بالكامل بالملح وتغلفيه بطبقات متتالية من البلاستيك مع المزيد من الملح ويتم التعبئة في إناء مغلق لا يتسرب إليه الهواء!

كان يفقد الوعي، ويعرف أنها لحظاته الأخيرة قبل الموت وسمكة البوري العملاقة تغلفه بكفنه البلاستيكي وابنتها تراقب خطوات التصنيع بعينين مستديرتين مبهورتين وبلا جفون!

¤¤¤

8- أطفالي الثلاثة واقفون يتطلعون بأعين متسعة مليئة بالأمل إلى يدي الممسكة بآخر جرعة من الترياق الشافي من الوباء الذي قضى على 90% من سكان كوكب الأرض، ولا يعلمون أن عليّ أن أختار أحدهم فقط كي أهب له الحياة.

¤¤¤

9- وقف جاري على باب شقته غاية في الهزال بعينين غائرتين يستند على كتف طفله ذي الخمس سنوات الذي هش لي عندما رآني أقف مستندًا إلى كتف طفلتي ذات الأربع سنوات ورأيته يتأمل ابنتي متفحصًا، ومر سريعًا بعينيه على مسدسي الذي دسسته في حزامي واضحًا للعيان فلم يتوقف عنده كما لم أتوقف أنا عند بندقيته التي يعلقها بحزام جلدي مهترئ على كتفه؛ ففي عالم يعيش في المجاعة منذ عشر سنوات أصبح امتلاك السلاح من بديهيات الحياة. تلك المجاعة التي قضت على الأخضر واليابس وجفت خلالها الأنهار

والبحيرات واضطر الباقون على قيد الحياة إلى التهام القطط والكلاب والحمير، وعندما انتهوا من الاقتتال على ورق الشجر بدأوا في اصطياد بعضهم البعض في الشوارع عيانًا بيانًا، واختفى الضعفاء والمرضى وجثث الموتى من عالمنا، ولم يعد أمامنا حل آخر فقلبي كأب تغلب على غريزة الجوع التي تنهشني، ولم أستطع أن أمسّ طفلتي بسوء، وكذلك لم يستطع جاري أن يمسّ ولده، ولذلك -وباتفاق صامت- دفعت بابنتي تجاه جاري الذي دفع بولده تجاهي في نفس الوقت.

¤¤¤

10- بنكهة الموت

يجلس وحيدًا في جانب مضيء من المقهى القديم، يرتشف رشفات متأنية من فنجان القهوة، قبل أن يلتفت مصادفة إلى العامل الواقف والظلام يغلِّف ملامحه، الذي يصب المشروبات خلف (النصبة)، وينتبه ليده العظمية التي تصب القهوة لزبون جديد.

¤¤¤

11- بالهناء والشفاء

استغرق منها إعداد العزيمة التي نقشتها على قاع الطبق ساعة كاملة، وابتسمت وهي تقول له:

- ستلتهم أصابعك من فرط لذة الطعام.

وجلست تتأمله باستمتاع وهو يتناول الطعام بنهمٍ شديدٍ، حتى إنه بدأ في تمزيق ومضغ لحم أصابعه التي أغرقت دماؤها المائدة كلها.

¤¤¤

12- حلول جذرية

وقفوا بأسمالهم البالية وأجسادهم الهزيلة وبشرتهم الشاحبة يستمعون إلى الزعيم الذي وعدهم بالقضاء نهائيًّا على المناطق العشوائية وتقليل نسبة الفقر إلى مستوى الصفر خلال أسبوع.

فصفقوا له طويلًا وخرجوا يهتفون له في الأزقة الضيقة. وقبل نهاية الأسبوع وكما وعدهم، كانوا ينظرون في تساؤل إلى الجسم الأسود البرميلي الشكل الذي يهوي على مدينتهم من السماء.

¤¤¤

13- مطعم راقٍ

طاجن اللحم كان غاية في الروعة، وكان يجلس ويتلمظ وهو يلتهمه بشراهة قبل أن يجرش شيئًا صلبًا بأسنانه، فصاح مناديًا مدير المطعم الذي تأمل الحجر الكريم اللامع الذي بين أنامل العميل ليعتذر بكل أدب ويعده بمجازاة الطاهي الذي نسي أن ينزع قرط الفتاة قبل أن يطهو رأسها.

¤¤¤

14- عيناها

لها عينيان ساحرتان، كان يتطلع إليهما مسحورًا، ويتحرك نحوها ملبيًا نداء كفها الممدود في انتظاره، عيناها ساحرتان وصوتها أيضًا وهي تترنم بتلك الأغنية التي ملكت عليه حواسه، عيناها ساحرتان بغضّ النظر عن ذيلها الحرشفي الذي يتراقص خلف ظهرها وعن أنيابها الحادة التي برزت في استعداد تام.

¤¤¤

15- كيوبيد الرعب

أفاق من إغماءته ليجد نفسه مقيدًا إلى مقعد، اتسعت عيناه رعبًا عندما شاهد رأس خطيبته (سلوى) يستند على كتفه فصاح محاولًا إيقاظها، ليجد أن من قيَّده قيدها مواجهة له مباشرة، وسمع الصوت يتحدث:

- أهذه التي تركتني من أجلها يا (فريد)؟

التفت ليجد (ابتسام) خطيبته السابقة تقف حاملة لقوس وسهم طويل تصوّبه نحوه لتقول:

- ستكونان معًا للأبد فسيخترق سهما قلبكما معًا..

وقبل أن يصرخ أطلقت السهم ليشهق ورأسه يستقر على كتف (سلوى)، وتلتقط (ابتسام) حرف F لتثبته على رأس السهم الذي يخترق ظهر (سلوى)، وحرف S لتثبته على مؤخرة السهم التي اخترقت ظهر (فريد).

¤¤¤